

الثورة الإسلامية (1)

المعالم والبداية

كيف تنتصر الثورات ؟



09 ذو الحجة 1434 هـ ـ 14 / 10 / 2013 م

www.ommaty1401.blogspot.com

كيف تنتصر الثورات - فصل من كتاب "الطريق إلى دولتنا" تحت الإعداد - ورقة عمل

أوضح حقائق مصيرية وإجابات لتساؤلات خطيرة حول:

- كيف تبدأ الثورات ؟
- كيف تنجح الثورات ؟
- عامل القوة في الثورات ؟
- السلمية.. تساؤلات النشأة والهدف ؟
- الثورة المصرية والثورات العربية.. البداية، وتصحيح المسار ؟
- العوامل الإيجابية والسلبية في الثورة المصرية ؟
- ما هي عوامل إعادة إنجاح الثورة المصرية والثورات العربية ؟
- جهاد الكلمة.. من مفهوم القوة الناعمة.
- الفرق بين السلمية وجهاد الكلمة.
- المسار الصحيح للثورات ؟
- هل يمكن للشعوب الإسلامية أن تحصل على حقوقها بمعزل عن العقيدة ؟
- معالم الثورة الإسلامية.
- البداية الصحيحة للثورة الإسلامية.

إن الثورة ليست هي مجرد سقوط حكومة أو رأس نظام..

الثورة معناها: راية وعقيدة سياسية ومشروع دولة جديد، يقوم على أنقاض النظام السابق، بعد أن تقوم الثورة بعملية (تطهير ثوري) تستهدف جذور النظام السابق وقواعده وبنيته، ويتغير بعدها وجه المجتمع فكراً وحياة، والدولة نظاماً ومؤسسات.. هذا معنى الثورة العام..

ومعنى الثورة الإسلامية الخاص: هو التعريف السابق، يُضاف إليه الخروج من هيمنة النظام الدولي والتبعية للمركز، وتقوم على أن الإسلام منهج رباني، متفرد تحمل رسالة لكل العالمين، وشريعة ربانية عليها تقوم دولة الإسلام، ونظامه، ومؤسساته، ومجتمعه.

في البداية أطرح بعضاً من نماذج الثورات الناجحة بغض النظر عن عقيدة هذه الثورات وأهدافها، لكننا سندرس عوامل نجاحها فقط.

(الثورة الإنجليزية - الثورة الفرنسية - الثورة الإيرانية)

كيف تبدأ الثورات ؟

- مظالم ومفاسد في حقوق العامة والضعفاء والشعوب.
- يرتفع الوعي بها، والإيمان بأنها حقوق.
- يجتمع الناس عليها، ويستشعرون قوتهم وهم مجتمعين.
- تصطدم بالقوة الحامية للنظام، وتندلع المعارك، والمواجهات.
- تنجح الثورة، وينهار النظام أسرع مما يتخيل الثوار.
- يتم الالتفاف على الثورة بواسطة من تهددت مصالحهم، وضاعت امتيازاتهم.
- تنتكس الثورة، ويعود النظام... ثم يعود مسار الانتصار من جديد (وعي - اجتماع - مواجهة القوة).

هذا ما تم في الثورة الإنجليزية على مدار 47 سنة، والثورة الفرنسية على مدار 10 سنوات و8 عقود من محاولات إنجاحها.

وهاتين الثورتين غيرتا وجه أوروبا كأنه ميلاد جديد، بل وغيرت وجه العالم تباعاً لذلك.

في هذه الثورات انقلب المجتمع أولاً، والدولة ثانياً رأساً على عقب.. في عقيدتها، وفي تصورها السياسي، وفي نظام الدولة. ولهذا تُسمى ثورة.

مواجهة قوة النظام في الثورات الثلاث:

- **في الثورة الإنجليزية:** كان هناك جيش للبرلمان، يحارب جيش الملك.. وكانت المعارك طاحنة حتى انتصر البرلمان، وقطع رأس الملك، ثم تنجح الثورة.. ثم تُخفق في مسارها وأهدافها، ثم يعود النظام، ثم تندلع الثورة - مرة ثانية - لبقاء المسار الصحيح كما هو (الوعي - الاجتماع - مواجهة القوة) ثم تواجه النظام العائد، ثم تنجح أخيراً ويستتب أمرها. استمر ذلك الصراع حتى نجاح الثورة قرابة 47 سنة، حتى أصبحت انجلترا التي نراها اليوم.

- **في الثورة الفرنسية**: تقريبا نفس ما حدث في الثورة الإنجليزية.. من الكفر بالنظام وحقه الإلهي المقدس في الحكم، وتقسيم المجتمع إلى حاكم بالأمر الإلهي والنبلاء والكنيسة من جانب، وطبقة الشعب والرعاع من الجانب الآخر.. بدأت بالوعي ثم بالاجتماع على هذا الوعي، ثم بالمواجهة.. فاقتحم الثوار مخازن السلاح، وسلّح الشعب نفسه، وبدأت مواجهة قوة النظام، ثم تنجح الثورة، ثم تخفق في مسارها وأهدافها، ثم يعود النظام، ثم تندلع الثورة لبقاء المسار الصحيح لها كما هو (الوعي - الاجتماع - مواجهة القوة) ثم تواجه النظام العائد، ثم تنجح أخيراً، واستمرت محاولات إنجاح الثورة الفرنسية قرابة 8 عقود، حتى أصبحت الثورة الفرنسية من أهم الثورات في تاريخ أوروبا الحديث، وأهم حدث تاريخي لها.

- **في الثورة الإيرانية**: ثمة فرق، وهو وجود قائد روحي وديني لها.. يستطيع بمجرد خطبة أو كلمة أن يُلهب حماسة الجماهير، ويؤثر فيهم.. فكانت أسرع، وأقل تكلفة بالمقارنة بالثورة الإنجليزية والفرنسية، ولكنها اتخذت نفس المسار (الوعي - الاجتماع - مواجهة القوة) ليس صحيحاً أن الثورة الإيرانية كانت سلمية - كما يظن البعض - هي كانت أقل تكلفة في الدماء، لارتفاع الوعي بالثورة.. وكان هناك سبب جوهري في ذلك، وهو أن الضباط الاحتياط في الجيش كانوا من تلاميذ مرشد الثورة الإيرانية ومريديه، وبالتالي حين اندلعت المواجهات، تحول الضباط الاحتياط لصف الثوار، وفي النهاية قتل الثوار من بقي من نظام الشاه.. واستطاعت المحافظة على الثورة من محاولة الانتكاس كما حصل في الثورة الإنجليزية والفرنسية. وكوّنت "حرساً ثورياً" يحمي الثورة في خطواتها الأولى والتي تكون في أضعف حالتها ثباتاً، وهي تعتبر من أنجح الثورات في العصر الحديث، إذ إنها غيرّت وجه الدولة، ونظامها السياسي، وعقيدتها، ومشروعها، وأيدلوجيتها.

نجد في هذه الأمثلة الثلاثة ثمة شيء بديهي للغاية، وهو مواجهة قوة النظام الذي ستقوم عليه الثورة، وإلا فلماذا هي ثورة؟!

إن النظام القائم، يكون له طبقة حكام، وطبقة مستفيدين.. ويحمي نفسه بمنظومة أمنية شديدة التعقيد. وعامة شعب ورعاع يسحقها هذا النظام، ويغتصب حقوقها، وحياتها، وقوتها، وأحلامها.. وكلما اشتد الظلم والبغي والعدوان.. كلما اشتدت البطشة الأمنية وتوحشها وقوتها.

لذا عندما تقوم الثورات فإنها تتبع المسار الآتي: وعي بالحقوق والهدف - ثم الاجتماع عليه - ثم مواجهة قوة النظام الأمنية التي تحميه - ثم تفكيكها ، وإعادة بناء الدولة وفق أهداف الثورة.

والقاعدة السننية في الثورات والمجتمعات: كلما ارتفع مستوى الوعي، كلما قلّت فاتورة الدماء.

إذن، مواجهة "منظومة القوة الأمنية" التي تحمي النظام الذي ستقوم عليه الثورة مسألة بديهية منطقية طبيعية، بل لقد كان من شعارات الثورة الفرنسية "اشنقوا آخر امبراطور بأمعاء آخر قسيس"..

فمن الذي خدع الشعوب العربية بموضوع "السلمية" ؟!![1]

هناك من بث هذه الفكرة "السلمية" على أساس أنها مسألة أخلاقية، قيمية.. يجب أن تتحلى بها الشعوب أصحاب المبادئ والأهداف النبيلة في صراعها للحصول على حقوقها وحريتها، وهذا أمر لا يستقيم في عقل ولا منطق ولا تفكير ولا تاريخ، فكيف تسقط المنظومة الأمنية التي تحمي النظام الذي ستثور عليه؟!

هل يسقط بالهتاف ؟!! بالطبع لا.. هذه ليست طبيعة الأشياء، ولا سنن الله تعالى في الكون.

هل يسقط بكثرة دماء الضعفاء ؟! بالطبع لا.. لأن النظام كان يمص دمائهم، ويسرق ثرواتهم، ويبيع مقدراتهم، فهو في كل الأحوال يسفكها.. إما ليشربها، أو يهدرها على الأرض بالقتل بلا حساب.

هل يسقط برفض المجتمع الدولي ؟! بالطبع لا.. المجتمع الدولي الحر الديمقراطي، مجتمع قائم على جماجم البشر، ويعيش بدمائهم، ولا يعنيه إلا مصالحه، واستمرار هيمنته على الدولة الضعيفة، واستعمارها، وتسخير وسرقة ثرواتها، فهو الذي صنع تلك الأنظمة العميلة له، وإذا حان وقت سقوطها فإنه يستبدلها بأنظمة تلبس أشكالاً جديدة، لكنها في النهاية تخضع له.

ثمة مثال خادع لنجاح "السلمية" وهو متمثل في "غاندي"..

أولاً: ما قام به غاندي لا يمكن أن يُعتبر ثورة غيرت عقيدة الهند، ونظامها السياسي، ومشروع دولتها.

ثانياً: إن الذي أظهر غاندي هم "الإنجليز" أنفسهم؛ لمواجهة مسلمي "شبه القارة الهندية" وتقسيم الهند إلى الهند والباكستان، ثم تقسيم الباكستان.. إلى باكستان وكشمير، ومفهوم من ذلك أن الغرض منه كان إضعاف شوكة المسلمين، والقضاء على مقاوتهم ضد الاحتلال الإنجليزي.. ولعلي هنا أبرز بعض ملامح تلك الخدعة أو فتنة غاندي التي أصابت الشعوب العربية الإسلامية !

- كان غاندي في منفاه في جنوب أفريقيا، والهند تحت الاحتلال لما يقرب من 100 عام.
- لم يطالب أحد بعودة غاندي من منفاه، فلماذا ارجعته انجلترا إلى الهند؟
- غاندي صاحب تعبير "مقاومة اللاعنف" "النضال السلمي" ضد الحكم الإنجليزي.
- غاندي صاحب دعوى «انتصار الحقيقة بقوة الروح والمحبة»، ويقول: «يتعين علينا مواجهة سوء المعاملة بالصبر والتحمل. إن الطبيعة البشرية على درجة كبيرة من التعقيد بحيث أننا إذا ترفعنا بشكل

[1] سأناقش لاحقاً - إن شاء الله - جهاد الكلمة من مفهوم القوة الناعمة.

كامل كل مشاعر الغضب والإساءة، فإن الشخص الذي يتمتع بممارسة هذه الأعمال سيصيبه الضجر وسيتوقف في النهاية». وهذا نوع من الوثنية والرهبنة الروحية التي كان يدين بها !.

- يقول: استطاع الإنجليز افتعال حوادث دامية في بومباي والبنجاب ليجدوا مبرراً لتدخلهم بالقوة، فبادر غاندي إلى تهدئة مواطنيه ودعوتهم إلى الصبر !

- بدأ غاندي مسيرته للتغيير المزعوم من 1904 وفي عام 1919 ضرب الطيران الإنجليزي المتظاهرين السلميين، وألقى بالألوف في السجون.

- بعد حوالي 30 سنة من بدايته وفي مارس عام 1930 دعى إلى مسيرة سلمية اسمها "مسيرة الملح" حيث كانت تحتكره إنجلترا، وهي جزء أساسي من مسيرة كفاح السلمية !

- وبعد أن قتل الإنجليز ما قتلوا، كتب غاندي قبل المسيرة بشهر، أي في فبراير 1930، خطابا إلى اللورد أروين، حاكم الهند البريطاني، قال فيه: «صديقي العزيز، فكرت لسنوات كثيرة قبل أن أبدأ هذا العصيان المدني، لكنني وجدت أنه الطريق الوحيد حتى تبقى الهند كدولة، وحتى لا يموت الهنود من الجوع».

- بعد مسيرة الملح التي لم تحقق شيئاً، سوى المطالبة بتحسين شروط العبودية، وتقليل الضرائب المفروضة عليهم، قال غاندي: المشكلة ليست بين البريطانيين والهنود، المشكلة فيما تفرضه بريطانيا عليهم !.

- اعتبر غاندي أنه أدى رسالته بعد "مسيرة الملح" التي استمرت 24 يوماً، والتي سُميت "ثورة الملح" وانصرف لمعالجة مشاكل المنبوذين، وبعد أن وضعت بريطانيا قوناً ظالماً لهم، واجهه "بالصيام" الذي كاد يؤدي بحياته.. فخافت بريطانيا وغيرت القانون !

- في سنة 1934 اعتزل السياسة وانسحب من الحزب الذي أساسه، ودعى الجماهير إلى اللاعنف والاعتصام، حتى جلاء بريطانيا عن الهند 1948.

أردت الاسهاب في هذا العرض التاريخي لنكون على بينة من زيف هذا المثال، وزيف صاحبه.. فبعيداً عن مسألة أنه رمز صنعه الاحتلال الإنجليزي لضرب الجهاد الإسلامي هناك، فلننظر ماذا حقق، وماذا قدم ؟ لا شيء سوى "السلبية" و"العزلة" و"الرضوخ والانصياع" للمحتل.. وبعد أن قتل الآلاف من اتباعه يقول للمحتل: "صديقي العزيز" ويخبر ويرجو ويستأذن المحتل بما سيفعله ! وأقصى ما فعله على الأرض مسيرة لشاطئ البحر ! اعتبرها أعظم انتصار، كانت المسيرة في عام 1930. ولم تحقق أي شيء، ثم يقولون إن الاستعمار الإنجليزي رحل بعدها !! تدليساً على الناس.

فالاستعمار رحل عن الهند بعد مسيرته السلمية بحوالي 18 عاماً ! لأسباب ليس للشعب الهندي فيها أي تأثير، بل لبداية ضعف الإمبراطورية البريطانية وتغير استراتيجيتها.

إذاً فغاندي هذا، لم يُقدم للهند، ولا للفكر البشري سوى السلبية والإنعزالية، وتحسين شروط العبودية للمحتل والغاصب.

وهنا أضع الثورة الأمريكية في مقارنة بين "رهبانية غاندي".. إذ إنهما كانا لهما نفس الظروف والملابسات.. ورهبانية غاندي لم تقدّم شيئاً للهند، بل حصلت على استقلال وهمي لم يشارك فيه غاندي ولا حتى الشعب الهندي ! أما في الثورة الأمريكية، وبعد سلسلة من مظالم الاستعمار البريطاني قرر الأمريكيون خوض المقاومة ضده، فبدأت بثورة الشاي، بإلقاء الشاي في البحر، ثم مواجهة، ثم حرب استقلال كاملة، ثم صياغة دولة جديدة في قالب جديد، ومبادئ جديدة، في أسلوب مركزي ولا مركزي للولايات الأمريكية.. حتى صارت الأمبراطورية العظمى حتى الآن.. إذن لم يكن هناك مفكرون أو فلاسفة أو قادة أمريكيون ينادون "بالسلمية" في ثورتهم، وبناء امبراطوريتهم.. فهذا النداء يُسلّم الشعوب للموت بلا مقابل، ولا غاية، ولا طريق !!

وترتفع خطورة دعوة السلمية وأدواتها عند اعتبارها أداة الصراع الوحيدة في المواجهة، لا حياد عنها، لا شريك لها !! وعدم اعتبارها مجرد أحد أنواع القوة الناعمة.

***

طبيعة الدولة المصرية والدول العربية:

الدولة المصرية هي: طبقة الرأسماليين العسكريين الناشئة من رحم الاستعمار؛ لتحافظ على هوية الدولة القومية العلمانية القادمة من قلب الوحشية الأوربية، وتمنع أي تغيير في تركيبة النظام الدولي بين دول المركز "الغرب" ودول الهامش "الشرق الأوسط" هذه الطبقة تملك السلاح التي تستطيع به قمع أي معارضة، وتملك المال الذي به تحدد طبيعة الحياة ومستقبلها.. تحت طبقة الجنرالات العسكرية، وأجهزتها الأمنية من (أجهزة مخابرات متنوعة ومؤسسات أمنية مختلفة) طبقة من الطفيليين والمتطفلين والمتزلفين من رجال الأعمال، والإعلام، والقضاء، تتقاطع مصالحهم بصورة وجودية مع الرأسماليين العسكريين.. ولهذا فلا عجب أن يملك جنرالات الجيش 40% من الاقتصاد المصري، وتملك طبقة رجال الأعمال والإعلام بقية تدوير باقي الاقتصاد المصري، وبقية الشعب على هامش الحياة.. مجرد ديكور اجتماعي !

ومجموع أفراد هذه الطبقة بذيولها لا يتجاوز 1 % من تعداد الشعب المصري كله، وهي التي تتحكم في كل السياسات والاقتصاديات والموارد.. إلخ، أفيعجز 99% أن يفكك 1 % يسيطر على كل حياته، وثرواته، ومقدراته، وأحلامه ؟!!

هذه الطبقة (الرأسماليين العسكريين - الأجهزة الأمنية الملحقة والتابعة - رجال الأعمال - الإعلام - القضاء) هي مصر الحقيقية المتحكمة في كل كبيرة وصغيرة في مصر.. داخلة بتوحش في كل شيء، تحمي "الهوية العلمانية" للدولة المصرية، وتبقى تابعة لدول "المركز" وتحمي مصالحه، وتنفذ أوامره، وتدمر مُعارضه.. ولا تخرج عن تركيبة النظام الدولي وأهدافه قيد أُنملة.

إن قانون الواقع: من يملك القوة والمال والسلاح هو الذي يسن القوانين، وهو الذي يحكم فعلياً لا صُورياً، هذا هو القانون الحاكم لكل دول العالم.. ولا قيمة لحق أو عدل أو إنسانية. وحتى تعود مصر دولة حقيقية ذات سيادة على أرضها، ومُتحكمة في ثرواتها، ومحافظة على هويتها الإسلامية، وسيادة الدولة بتحكيم الشريعة.. لا بد من تفكيك تلك الطبقة الحاكمة والقضاء عليها نهائياً.

***

في الثورة المصرية والثورات العربية:

بداية الثورة المصرية:

- دعوة لرفض بلطجة الداخلية يوم 25 يناير، لاقت تجاوباً شعبياً مشحوناً بكبت سنوات طوال، وتجاوباً إسلامياً لنصرة الحق والمظلوم، مستعينة بمعنويات انتصار ثورة تونس وهروب بن علي.
- سوء تقدير وزارة الداخلية، ورعونة جمال مبارك.
- واجهت قوة غامشة في 28 يناير وتصدت لها بكل قوة، صاحب ذلك [حرق جميع مقرات الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم - حرق أقسام الشرطة - انهيار أمن الدولة].
- تفككت المنظومة الأمنية الأولى التي كانت تحمي النظام، وترهب الشعب، وانكسرت الداخلية..
- فانفتح المجال للشعب. نزل الجيش "المنظومة الأمنية الثانية" ليحمي النظام من السقوط بعد انهيار الداخلية.
- وتولى مجلس مبارك العسكري الحكم من يوم 18 فبراير حتى يومنا هذا، وفرّغ الثورة من محتواها، وسرق فقط - فيما يسمى "الفترة الانتقالية 2011 : يوليو 2012"- 20,6 مليار دولار من احتياطي النقد المصري، ثم تحكّم في الانتخابات والقضاء، وتلاعب بالرئيس مرسي، وجعله رئيساً صورياً.. استغل فترة العام الذي حكمه مرسي في إسقاط الشرعية الثورية والشعبية والإسلامية والدستورية، وصنع لنفسه ثورة وهمية اسمها 30 يونيو.. وإن كانت الثورة وهمية، فاستطاع أن يصنع له قاعدة شعبية حقيقية..

نجد هنا أن نجاح الثورة المصرية في موجتها الأولى والتي "كسرت فيها المنظومة الأمنية الأولى - الداخلية" اتبعت المسار الصحيح للثورات: (وعي - اجتماع - مواجهة القوة بالقوة).

ثم فشلت الثورة وانتكست عندما (فقدت الوعي) بضرورة تفكيك "المنظومة الأمنية الثانية - الجيش" وإعادة بنائها وفق أهداف الثورة.

ثم ها هي تواجه فشل جديد في الوعي في " صوفية وثنية غاندية " بشعار (سلميتنا أقوى من الرصاص)، وهو مسار منحرف خاطئ في مسار الثورات: إذ إن الثورة الناجحة أول مسار صحيح لها هو (الوعي) إن فقدت الوعي، فلن تكسب شيئاً بعده مهما قدّمت من تضحيات. وتبقى السُنة كما هي: **كلما ارتفع مستوى الوعي، كلما قلّت فاتورة الدماء والتكاليف.**

عوامل إعادة نجاح الثورة المصرية، وكذلك العربية:

يجب ألا تجعلنا تلك الانتكاسة الحاصلة في ثورات الربيع العربي أن تُدخل في قلوبنا اليأس، فرأينا الثورات الكبرى في التاريخ تستمر لسنوات طوال، ولقد حققنا إيجابيات تعتبر بالنسبة للشعوب العربية من أكبر التحولات في تاريخها الحديث بعد سقوط الخلافة.

العوامل الإيجابية للثورة المصرية:

- إن أهم عامل إيجابي هو "**كسر حاجز الخوف**" الذي ظل النظام الاستبدادي العربي، ومن وراءه الاستعمار يبني جدار الخوف، والعزلة، والسلبية منذ قيامه.. انهيار هذا الجدار، يعتبر حدث تاريخي بالنسبة للأمة يجب أن لا نغفل عنه.

- **تغيير العقل الجمعي العربي**، فلقد كان العربي قبل الثورات العربية لا يشغل باله إلا المباريات، واللاعب الذي انتقل لفريق الخصم، والمغنية الجديدة، والفيلم المثير، والعقار المخدر بالأسواق.. إلخ، لكن الثورات زلزلت هذه المنظومة العبثية، وحوّلته نحو الحديث عن السياسة، والحقوق، والقوانين، والدساتير، وطرق الإصلاح، وهذا تحول تاريخي في العقلية العربية.

- **الاستعداد للتضحية والبذل والفداء**، فبعد أن كان الفرد يعيش همه الفردي، ولا يرى إلا ذاته، ولا يبحث إلا عن مصلحته.. فإذ بنا نجد أروع البطولات في التضحية والشجاعة والإقدام.

العوامل السلبية للثورة المصرية:

- **السلمية**: حرصت جهات عدة أن تقول إن الثورة المصرية في يناير هي ثورة سلمية أبهرت العالم.. متغافلين عن اقتحام الشعب لمقرات الحزب الحاكم، وحرق أقسام الشرطة، واقتحام جهاز الرعب -

أمن الدولة، وهروب المنظومة الأمنية التي ترهبه من الشوارع، أشاعوا مصطلح "السلمية" حتى يدخلوا الشعب المصري في "رهبانية غاندي" وأنها هي سبب النجاح، رغم أنها لم تنجح في شيء قط ! واعتبارها أداة الصراع الوحيدة.. لا بديل عنها، ولا شريك لها !

- **المسار الإصلاحي**: كان يمكن احتواء العسكر والنظام بالمضي في المسار الثوري، إلا أن اختيار المسار "الإصلاحي - السلمي" قضى على ما حققته ثورة 25 يناير من خطوة في تفكيك النظام.
- **الانقلاب**: وهو شيء طبيعي تاريخياً ومنطقياً.. إذ إن الانجازات الناعمة التي تحققت.. يسهل احتوائها ما لم تكن هناك قوة تحميها، والقوة بكل أنواعها (السلاح - المال - القضاء - الإعلام) في يد النظام! فانقلابه كان مسألة وقت، لإعادة مكتسباته التي فقدها، والانقلاب يُدافع عن مصالحه بما يستطيع!
- **السلمية مرة أخرى**: في مواجهة الانقلاب أُستدعي "الخطاب الغاندي - السلبي" لمواجهة الانقلاب أو بالأصح لمواجهة الدولة التي قامت الثورة عليها.

فهل تنجح السلمية لمواجهة الانقلاب ؟ أو هل تنجح السلمية في انتصار الثورة المصرية ؟ أو بمعنى أدق: هل تنجح السلمية في قيام الموجة الثانية من الثورة المصرية ؟

لنتكلم أولاً عن..

ماذا يمكن أن تحققه السلمية ؟

في مثال غاندي، وفي الفكر الغربي المعاصر مثل: جين شارب (Gene Sharp) وهو التأصيل الحديث للنضال السلمي، نجد أن غاندي كان يطالب بحقوق الهنود، ورفض الضرائب الظالمة.. إلخ، وفي الفكر المعاصر وبعد الاستقرار المجتمعي نجد أن المطالبة بالحقوق يحتاج إلى السلمية فهي تحققه على أكمل وجه.. بمعنى:

هناك دولة، وعقيدة سياسية، ونظام مستقر، ومجتمع يتمتع بالحد الأدنى من الحياة الكريمة.. ثم تنشأ مشكلات سياسية، اقتصادية، تعليمية، بيئية... إلخ يعجز البرلمان أو الحكومة عن حلّها، فيضطر الشعب إلى الضغط السلمي وأدواته من (التظاهر - الاعتصام - العصيان المدني - الرسالة الإعلامية.. إلخ) حتى يُجبر حكومته على الالتفات إلى مطالبه.. وبهذا نجد عددة أمور:

- إن الضغط السلمي لا يستهدف إسقاط (نظام الدولة).
- إن الضغط السلمي يؤكد على مشروعية مطالبه، ويُطالب الجهة المسؤولة في الدولة عنها.
- إن الطريق السلمي لحل المشكلات، والمطالبة بالإصلاحات هو الطريق الأمثل لا شك.. وهو الطريق الأقصر للوصول لنتيجة إيجابية.

- إذ لا يمكن استخدام العنف لحل مشكلة سياسية أو تعليمية أو اقتصادية في قطاع ما في الدولة، أو في شريحة معينة.. فإذا كانت تُطالب بحقوقك المشروعة، لا يعني أن تتعدى على (نظام الدولة) بالقتل أو بالحرق لأنه أخطأ.

- وبالتالي فالضغط السلمي تستخدمه الشعوب المستقرة دولها، ونظامها، وعقيدتها السياسية.. لتطالب بمزيد من الإصلاحات ولتُذّكر القائمين على الحكم أن الشعوب يقظة مدركة لقضاياها وواقعها وحقوقها.

فهل يمكن استخدام السلمية لقيام ثورة، وإسقاط نظام دولة بأكمله ؟[1]

فهذا هو العبث الذي لا يقبل به عقل أو منطق أو ضمير ، وليس له أي شواهد في الحياة ولا في التاريخ. فمسار الثورات معروف وبديهي (**الوعي - الاجتماع - مواجهة القوة بالقوة**) فإسقاط نظام دولة تحميها منظومة أمنية، ومالية، وقضائية، وإعلامية، وإقليمية، ودولية.. لا يمكن أن يسقط "بالضغط السلمي" أبداً أبداً أبداً. فالضغط السلمي - كما أوضحت - محدود بإصلاحات جزئية أو مطالب فئوية.. إلخ. أما نظام الدولة يسقط بالثورة الداخلية الكاملة أو بغزو خارجي.. وليس هناك عوامل أخرى سوى قدر الله الكوني.

لذا، فيمكن اعتبار (التظاهر والعيصان والرسائل الإعلامية.. إلخ) أحد وسائل (مرحلة الوعي) وبقيت المراحل الأخرى ووسائلها الطريق لها مفتوح، ولا بد من المضي فيه.

***

السيناريو المتوقع في الحالة المصرية بالنضال السلمي وحده:

الأول: الإلتزام بخارطة طريق الانقلاب، وفيها الإفراج عن كل المعتقليين، وإعادة أموالهم، وأحزابهم، والمشاركة في عملية سياسية صورية لا تُقدم ولا تُأخر في أي شيء.

الثاني: أن طبقة الرأسماليين العسكريين عندها تحفظ على أداء قادة الانقلاب.. ليس تحفظاً على الدماء والأرواح التي ذُهقت هذه - بالنسبة لهم - هواء لا قيمة لها.. ولكن تحفّظها على عدم قدرته على ضبط الإيقاع والسيطرة الكاملة على الشارع، مما تسبب في خسارة اقتصادية لهم، وإحراجاً على مستوى بعض الدول.

ولذا فهذا السيناريو يُفضل خروج قادة الانقلاب من المشهد بكل احترام (اجتهد فأخطأ) وأن يعيش في أحد قصور الخارج مع مجموعة من مليارات الدولارت، وأن يعود الرئيس مرسي بصورة مؤقتة لمدة عام مثلاً - وتنتهي كل فعاليات وتظاهرات الشوارع - يجري خلالها انتخابات رئاسية أو يُكمل مدة حكمه، أو يُنتخب أحد غيره دون

---

[1] لاحقاً سأناقش - بإذن الله - الفرق بين السلمية وجهاد الكلمة.

رجوعه.. ولكن في كل الأحوال لن يحكمها أحد لا الرئيس مرسي، ولا الرئيس المنتخب القادم، فالطبقة الحاكمة الحقيقية راسخة في الدولة المصرية منذ 60 عاماً ولا تقبل أي عبث أو مساس بمصالحها، ولعلهم يُفضلون انتخابات رئاسية برضى الجميع، حتى يتم هذه المرة السيطرة التامة على الانتخابات ونجاح مرشح "الطبقة العسكرية" بأي طريقة كانت سواء شراء الأصوات أو شراء الصناديق نفسها.. ومعهم الطبقة الحامية من رجال الأعمال التي تدفع، ورجال الإعلام التي تُزيف، ورجال القضاء التي تحكم لهم. وفي هذه الحالة لن يستطيع أحد أن يفتح فمه بالشرعية والديمقراطية، فها هي الشرعية، وها هي الديمقراطية.. وستنتهي عندها الأزمة، وتبقى الدولة - سواء في ثورة يناير أو في انتصار الشرعية أو في نجاح أي مُرشح - باقية راسخة، لا يُغيرها أصوات صادقة زاعقة.. فهي - بالنسبة لهم - هوام وهوامش.. مجرد ديكور اجتماعي.

كلا الاحتمالين لا يُهدد بنية الدولة المصرية الحالية في أي شيء، وانتصار الشرعية.. لا يُمثل أي تهديد حقيقي لبنية الدولة والسيطرة عليها، إلا أنه كان يُمثل إزعاجاً وصداعاً للطبقة الحاكمة الفعلية لعدم توافق القصر الرئاسي بوجود الرئيس مرسي وعدم تناغمه مع الطبقة الحاكمة.. وهم قد عرضوا على الرئيس مرسي أن يكون منهم ومعهم، وأن يترك تلك الأحلام والأوهام ببناء دولة ذات سيادة، إلا أنه لصِدقه ونبله أبى، فكان مصيره السجن والتخلص منه، وسواء رجع الرئيس مرسي أو تمت انتخابات رئاسية برضى الجميع.. من يأتي على غير تناغم وتوافق مع الطبقة الحاكمة الفعلية للبلاد، ومع المصالح الاستعمارية لدول المركز فمصيره الهلاك بأي صورة كانت. (راجع - إن شئت - مقال: الصفر السياسي والصفر الرقمي).

***

طبيعة الثورة المصرية:

الثورة المصرية ثورة حقوق، وحريات.. لطالما عاشت عقوداً طويلة تحلم بها، وهي حقوق أصيلة وفطرية لكل إنسان، ولكن هذه الحقوق ليست كما ظن الناس: خبز وبنزين وكهرباء..إلخ ! فهذه هي الفكرة التي خلقها الإعلام الصهيوني للعبيد، وصدقها العبيد.

الحقوق: هي السيادة الحقيقية للأوطان.

الحقوق: هي التحرر من الهيمنة العالمية.

الحقوق: هي عزل الحاكم عن طريق الأمة.

الحقوق: هي محاسبة من سرق أوطان بأكملها.

الحقوق: هي احترام كرامة الإنسان، وإنسانيته.

الحقوق: هي التعليم المتطور، والغذاء الصحي، والعلاج الكامل.

الحقوق: هي تطوين التكنولجيا، وتصنيع السلاح المتطور، والإكتفاء الذاتي، واستغلال كافة الموارد.

الحقوق: هي العبودية لله وحده؛ بتحكيم شرعه.

ومن هذه الحقوق أيضاً:

1- محاكمة القتلة والمجرمين في ثورة 25 يناير إلى يوم الانقلاب.

2- محاكمة القتلة والمجرمين الذي قتلوا بلا حساب أكثر من 5 آلاف شهيد وقتيل في ساعات، وإلغاء كل القرارات التي صدرت بعد الانقلاب جميعها.

3- محاكمة العسكريين الذين سرقوا 20,6 مليار دولار من احتياطي النقد في الفترة الانتقالية (2011 - 2012) ومن ساعدهم في ذلك.

4- محاكمة اللصوص الذين باعوا أرض مصر بعد الانقلاب وقبله، واستعادة تلك الأراضي.

5- تفكيك طبقة الفساد في الجيش والشرطة والإعلام والقضاء، وإعادة هيكلة هذه المؤسسات على أسس ثورية حقيقية.. واستخلاصها من نفوذ أجهزة المخابرات الأجنبية.

6- محاكم ثورية لكل من أفسد من خلال محاكم ثورية حقيقية بقوانين عادلة ناجزة، وليست بقوانين النظام المُفصلة لحماية الفساد والمفسدين.

7- تأميم أموال رجال الأعمال والعسكريين الذين حصلوا على أموالهم من دماء وعرق الشعب، وبطرق الفساد والاحتكار والتحايل والنهب والظلم والصفقات المشبوهة، واسترداد كافة الأموال المنهوبة الهاربة في الخارج.

8- تحقيق عدالة اجتماعية حقيقية بفرض ضرائب تصاعدية على طبقة الأغنياء وردها على الفقراء.. حقوق وليست هبة ولا منة من أحد.

9- خضوع المؤسسة العسكرية لسلطة الأمة، وخضوعها للمراقبة الكاملة من قبل مؤسسات الدولة، ومراجعة كافة تفاصيل ميزانيتها، وحسابات الجنرالات العسكرية.

10- القضاء على المجرمين من البلطجية، وإدخال كافة المناطق العشوائية وأطفال الشوارع ضمن برنامج اجتماعي وصحي وتربوي يكفل لهم الكرامة الإنسانية.

وغيرها الكثير...

ولكن..

هل يمكن للشعوب الإسلامية عموماً أن تحصل على حقوقها بمعزل عن العقيدة ؟

الحقيقة يستحيل أن تحصل الشعوب الإسلامية على أيٍ من حقوقها الإنسانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.. إلخ بمعزل العقيدة.. لاعتبارات سننية، وقدرية، وتاريخية، وحضارية، وعالمية، لا مجال لسردها هنا بالتفصيل.

لذا فإن المسار الصحيح للثورات العربية لا بد أن يسير في مساره الطبيعي والرباني ليلتقيان في **"الثورة الإسلامية الكاملة"**.. فمسار الحقوق مسار طبيعي، والوصول لهذه الحقوق لا طريق له إلا الإسلام.. وعليه تكون هي "الثورة الإسلامية" بكل وضوح واستعلان، والتي وحدها قادرة على أن تُحول الأمة من الحالة الغثائية إلى الحالة القيمية الحية الفعّالة الرائدة، والتي وحدها قادرة على تغيير وجه الحياة البشرية، وتقديم النموذج الحضاري الإنساني الرباني الذي لطالما بحثت عنه البشرية.. هذا النموذج قادم - لا شك - لأنه وعد الله سبحانه، فالأولى أن ننال هذا الشرف، وتلك العزة، وهذه الحياة.

المسار الصحيح للثورات (الوعي - الاجتماع - القوة):

والحقيقة هذه الثلاثة كل منها قوة:

1- قوة الوعي: وهي على محورين:

الأول: عناصر الوعي من (عقيدة، وراية، وأهداف، وأفكار، وغاية، وأدوات، ووسائل، ومنهج، ومشروع، وإدراك حقيقة المعركة، وطبيعة الصراع.. إلخ، والإحاطة بجميع عناصر الوعي).

الثاني: ارتفاع مستوى الوعي بكل عنصر إلى الغاية والمستوى المطلوب. والوعي هو أهم عنصر من عناصر القوة، إذ يعتبر هو المُوجّه لكل ما سيأتي بعده، وكلما ارتفع الوعي؛ كلما قلّت فاتورة التكاليف والدماء.. واختصرنا خطوات الطريق، وسنوات العمل.

2- قوة الاجتماع: وهي على محورين:

الأول: القاعدة الصلبة.. وهي التي تقود الجماهير، وتحشد الطاقات، وتلهب الجماهير، وتثبت حركتهم، وترشد طريقهم، وتصحح وعيهم في معارك الوعي التي يشنها أعداء الثورات.

الثاني: هو عامة الجماهير والقوة الشعبية التي تستيقن أنها قضية مصيرية وجودية عادلة، فتلمس سمو الهدف، ونبل الغاية، وتستجيب للنداء، وتنفعل بالحق، وبإيقاظ الضمير.

3- القوة بالقوة: وهي على محورين:

الأول: إدراك حتمية المواجهة لأن نظام الدولة لا يقوم بلا منظومة أمنية، وإذا كانت دولة استبداد وظلم وعمالة للمستعمر فهي منظومة وحشية دموية لا ترقب في إنسان ولا حيوان ولا جماد إلاً ولا ذمة ولا عهداً، وتقتل بلا حساب.. مهما بلغت بحور الدماء، وهذا الوعي (بحتمية المواجهة) يحقن الدماء البريئة، ويمنع المواجهة العبثية السلمية أمام قوة باطشة وحشية.

الثاني: الاستعداد وتوقيت المواجهة، والاستعداد يبدأ بعد التأكد من الوعي الكافي، والاجتماع الشعبي، واستقرار ضمير الأمة على ضرورة مواجهة القوة بالقوة، وهي تختلف بحسب ظروف كل بلد، لكل لا مفر منها أبداً.. فهذه طبيعة الأشياء، وحقائق السنن. وكلما كانت القوة منظمة، ونوعية، ودقيقة، وفعالة.. كلما كانت قاصمة، سريعة، حاسمة في إسقاط "المنظومة الأمنية للدولة" وبإسقاط المنظومة الأمنية للدولة.. ينهار نظام الدولة.

وإن مواجهة القوة بالقوة، لا يعني تدمير مؤسسات الدولة أو ممتلكات الناس، كما لا يعني الانتقام ! كما لا يعني الرغبة في قتال (كل) المنظومة الأمنية والتشفي فيها.. بل يعني (تفكيك وخلخلة بنيتها) وإفقادها القدرة على حماية النظام المراد إسقاطه، فإذا تفككت تلك المنظومة وانهار نظام الدولة.. تأتي عملية (التطهير الثوري) لتنظيف الدولة من كل عناصر الفساد، وإعادة بنائها وفق مبادئ الثورة..

لأن الثورة تعني دولة ونظام جديد، وبالتالي فالثورة تكون حريصة على مُقدراتها ومؤسساتها، وتُدخل الجميع في بنائها الجديد.. بعد التطهير الثوري الشامل. لأنها تحمل:

- **راية جديدة.**
- **عقيدة سياسة جديدة.**
- **مشروع دولة جديد.**

لذا، فعلى الثورة المصرية أن تستعد لموجتها الثانية، ولا تشعر أن الأمر انتهى.. وتدخل - من جديد - في المسار الصحيح للثورات: **[الوعي - الاجتماع - مواجهة القوة بالقوة]**.

***

معالم الثورة الإسلامية وهي تسير في مسار الثورات الطبيعي:

(وعي - اجتماع - مواجهة قوة بقوة) لكن بالطبيعة والغاية الإسلامية الخالصة التي تتفرّد في كل شيء في الوسيلة والغاية والمنطلق والنهاية:

[1- الراية. 2- الاستعلاء الإسلامي. 3- علماء الإسلام. 4- الشريعة الربانية. 5- الاجتماع. 6- حشد القوة. 7- مواجهة قوة الدولة القائمة. 8- حقيقة المعركة]

1- الراية:

الشعوب العربية شعوب مُسلمة، تحب الإسلام.. لكن عوامل التغريب جعلت الشعوب لا تعرف عن الإسلام إلا الاسم ! وهذه مشكلة كارثية.. حلها (إعادة تشكيل الوعي، وتصحيح وترسيخ المفاهيم) بما يتوافق مع رسالة الإسلام.

الإسلام راية: راية متفرّدة لا تقبل شريكاً من مناهج أرضية أو وضعية أو بشرية مهما بلغ تأثيرها ودرجتها.. راية متفرّدة، ربانية، شمولية، مثالية، واقعية، إيجابية، توحيدية.. تملك منهجها المتفرّد، ونظامها الخاص، وعقيدتها النقية. والنبي - صلى الله عليه وسلم - رفع تلك الراية من أول يومٍ جاء فيه الوحي.. راية التوحيد بمعناها الحقيقي بإسلام أمر الروح والجسد والنظام والمجتمع والدولة لله رب العالمين. ولم يُداهن أو يصالح أو يتنازل عن تلك الراية لحظة واحدة، مهما بلغت درجة الاستضعاف.

وإن رفع تلك الراية ليس معناه أن يكون في نيتك وفي خاصة نفسك أنك تريد أن تنصر الإسلام.. إنما رفع راية الإسلام يعني أن الراية رمز وعلامة يعرفها القاصي والداني كأعلام الدول، تُعرف بمجرد رؤيتها، وتُدرك مدلولاتها، وهي راية لا تقبل لها شريك من أي أفكار بشرية وضعية علمانية. وعلى أساسها يكون الاجتماع. وهذه الراية تريد الإسلام دولة، والشريعة سائدة وحاكمة.

وإن الوعي بهذه الراية لهو أعظم قوة يمكن أن تتمتع بها "الثورة الإسلامية" إذ إنها تستمد قوتها من حقيقتها التي يقوم عليها كل هذا الوجود، وإدراك حقيقة هذا الدين، ودوره في الحياة.. بعد أن تاهت معالمه بين الاستبداد وطبقة المحترفين من "رجال الكهنوت" الذين صنعهم الاستبداد لتدمير قوة الإسلام، وقدرته على تغيير الحياة البشرية كلها.. كما فعل من قبل.

فالاستبداد لا يستطيع العيش دون "طبقة من الكهنوت" تُخدر الأمة، وتمتص مقاومتها الفطرية، وتحرّف الكلم عن مواضعه، وتُلبس على الناس أمر دينها، فلا تفكر الشعوب في الخلاص، وإذا فكرت في الخلاص.. فستتجه بعيدة عن هذا الدين الذي صنعه الكهنوت، وأذلّهم.. فتتجه إلى مناهج أرضية "علمانية" لا تحقق من ورائها إلا السراب والتيه والعبث..

فالاستبداد يحميه (الكهنوت) يكذب ويُدلس، ثم يلتقط الفتات الساقط.

والديمقراطية يحميها (الإعلام) يكذب ويُدلس، ثم يأكل على المائدة.

رجال الكهنوت والإعلام دورهما واحد.. خداع الناس، لحماية الطاغوت الاستبدادي، والطاغوت العلماني..

لذا نجد الأمة الإسلامية المعاصرة وقعت بين مطرقة الاستبداد وسندان المناهج الوضعية.. وفي النهاية لا طريق لها إلا الإسلام كقوة ثورية، عادلة، ربانية، قادرة على سحق الاستبداد والظلم، وقادرة على صنع البديل الرباني كما صنعته من قبل.. لن تحتاج إلى "العلمانية" ولا غيرها.. لأنه عندها كتاب وشريعة إلهية وتاريخ وحضارة ملئت الدنيا كلها، وفاض نورها على كل الإنسانية.. لن تحتاج إلى تقليد القرود، فعندها نظام سياسي واقتصادي إسلامي يضمن كل الحقوق والعدالة لكل إنسان نابع من هويتها، ولا يقف عند حدود الأرض، أو الجنس، أو اللغة، أو اللون.. عندها الشورى، ومشاركة الأمة مشاركة حقيقية نافذة، وفوق أنه نظام مثالي نابع من الهوية والإسلام، فهو ببساطة يعني تحقيق إسلامها في واقع الحياة بتطبيق شرع ربها.

2- **الاستعلاء الإسلامي:**

الإسلام بعد أن يستعلي برايته، فإنه بطبيعة الحال يستعلي بمنهجه، وتصوراته، وأهدافه.. بل يستعلي حتى بألفاظه ومصطلحاته ! وهو يستعلي على الواقع الجاهلي العلماني بكل أفكاره ومناهجه ونظمه، ولا يتلوث بها.. لا فكراً ولا معناً ولا لفظاً.. بل واقع إسلامي خالص الفكر والتصور والسلوك والحركة والشعور، يتحرك بحرية فكرية داخل الإطار الإسلامي لا اعتبار عنده للنمطية الفكرية القائمة على أسس علمانية، والفكر فيه رباني التوجه، والمنطلقات، والرؤية.. ولا يلتفت إلى ضخامة الباطل حوله، بل يشق للحق طريقه إيماناً منه أنه الحق، وأن الله ناصره. فكر شمولي الرؤية، واقعي الهدف، مثالي التوجه، متوازن الطريق، حر الحركة داخل الإطار الإسلامي.. وبالتالي فهو ينظر إلى كل المناهج الوضعية سواء (العلمانية والاشتراكية والليبرالية والرأسمالية وأدواتها الديمقراطية ونظامها السياسي والاقتصادي) نظرة استعلاء، ويحكم عليها جميعاً بالجاهلية والانحراف والفشل ! ولقد فصلّت القول في الديمقراطية في مقالات سابقة، وبينّت الفرق بين الشورى والديمقراطية ، وفي غيرها من الأبحاث، ولكن أنبه القارئ الكريم إلى أن تداعيات "انهيار الرأسمالية" الحادث الآن والاضرابات والاحتجاجات في قلب أوربا وأمريكا.. جعلت المتظاهرين في أوربا يقولون: "لقد فشلّت كل الحلول الاشتراكية والرأسمالية، ولا ندري ماذا نفعل؟" وهذا القول يعني بداية تغيّر مجرى التاريخ، وسأفصل فيه القول لاحقاً - إن شاء الله - ولكن هل تظن الشعوب الإسلامية أن "الديمقراطية الرأسمالية" وهي تنهار وتُفلس في الغرب، سوف تحقق ثوراتهم وحقوقهم وكرامتهم ؟!! إن فتنة الديمقراطية في الفكر الإسلامي المعاصر عميقة.. ويحسن بنا أن أقول فيها كلمة هنا باختصار شديد:

إذا كان البعض يقصد - توهماً وحسن ظن - بالديمقراطية أنها "حق اختيار الحاكم" فاسمها في دين الإسلام "الشورى" وهي تناقض الديمقراطية تناقضاً تاماً لا يلتقيان في بداية الطريق، ولا في وسطه، ولا في نهايته. وإذا كان يُقصد بالديمقراطية بمفهومها الغربي من أنك تقبل - مثلاً - أن يحكمك "شيوعي أو علماني" إذا جاء عبر الانتخاب الحر النزيه.. فهي راية - بكل وضوح - جاهلية كفرية شركية.

وبهذا الاستعلاء بالعقيدة والمنهج لا يمنع - في ذات الوقت - من الاستفادة من الإبداع الإنساني في العلوم التطبيقية وفي التنظيم والإدارة.. وتحقيق المنهج الإسلامي بأدوات العصر، ولقد أوضحت بعضاً من ذلك في فصل "كيفية تطبيق الشريعة" في كتاب "شرع الله حق الله على العبيد".

3- علماء الإسلام:

علماء الإسلام لا تناقض بين خطابهم الدعوي والسياسي، وكذلك لا جمود وتقليد فقهي وواقعي عندهم.. بل علماء الإسلام وقادة الثورة الإسلامية يجمعون بين علوم الوحي والمنهج الإسلامي والفكر الإسلامي من جانب، وبين علوم إدراك الواقع من الجانب الآخر، إذ لا مجال لإنزال علوم الوحي وقيام المنهج الرباني بدون إدراك الواقع إدراكاً علمياً مبنياً على معلومات صحيحة، ومعالجة دقيقة لكل معلومة، مستجمعين كل علوم إدراك الواقع من (الجغرافيا السياسية، والسياسة الدولية، والاقتصاد، وعلوم الاجتماع، والنفس، والسنن، وفقه التاريخ، وقوة الدولة، والعلوم الاستراتيجية، والتكتيكية، والإدارية، والثقافة، والإعلام والتأثير، والفكر السائد وغيرها... إلخ)[1] بحيث - في النهاية - تكتمل علوم الشرع وعلوم إدراك الواقع الذي سيحكم عليه الشرع، ويصدر الحكم والتصور الإسلامي في صياغة شاملة، مُحكمة، مُعلنة، دقيقة تبين للناس أولاً: طريقة التعاطي مع الإسلام كمنهج، ثم ثانياً: حكم الإسلام، ثم ثالثاً: كيفية المضي في الطريق.

4- الشريعة الربانية:

وهذا هو مشروع الدولة الذي تحمله الثورة الإسلامية.. مشروع رباني، واقعي، مثالي، شامل، متوازن، إيجابي، عالمي. ولقد فصلّت القول فيها في كتاب "شرع الله حق الله على العبيد" ولكن هذه الشريعة حولها مثل ما حول الإسلام ككقوة ضاربة للباطل والطغيان.. حولها ركام وشبهات مستمرة لعقود طويلة، وإن الانتصار في معركة الشريعة على مستوى الفكر الإسلامي المعاصر، وعلى مستوى الأمة لهو قوة لا تعدلها قوة، ولا يقف أمامها أي شيء مهما كان.. لذا أكرر أنه: كلما ارتفع مستوى الوعي، كلما قلّت فاتورة التكاليف والدماء. وأنا أعكف على بحث اسمه "الطريق إلى دولتنا" يوضح المشروع السياسي ومشروع دولة الإسلام.. وإن كان مشروعها لا يحتاج إلى تفاصيل كثيرة بقدر ما يحتاج إلى الإيمان به، والإخلاص له، وتمهيد الطريق له، والاعتقاد الجازم القاطع أن لا

---

[1] وهذه العلوم في (طور البداية) تحتاج إلى تأصيل إسلامي عميق مستمد من رسالة الإسلام وشريعته، وإلى ترشيح المفيد مما وصل إليه الابداع الإنساني في العلوم التطبيقية، وعلوم التنظيم والإدارة.. أما القيم والموازين، والتصورات والمفاهيم، والأخلاق والشعور فهي قيم وقواعد إسلامية خالصة نابعة من الإسلام وحده، وتُستمد من الوحي الرباني وحده.

بديل عنه من الناحية الشرعية، والسياسية، والحضارية، والتاريخية، والقدرية.. ولكن يحسن بنا هنا أن أقول باختصار شديد..

ماذا يعني تحكيم الشريعة الربانية ؟

- ❖ يعني أن المسلم يحقق معنى شهادة "لا إله إلا الله"، ويؤدي حق الله على العبيد، وأصل أصول التوحيد.

- ❖ يعني أن كل مسلم يتساوى مع غيره في كل الحقوق، فلا فضل لأحد على أحد.. ولا قوم على قوم، ولا طبقة على طبقة، ولا جنس على جنس، ولا أرض على أرض، ولا دماء على دماء، ولا عشيرة على عشيرة.. كل الناس سواء، وكذلك كل حقوق غير المسلمين مكفولة، ومصونة كما أرادها الله تعالى.

- ❖ يعني أن كل مسلم يتساوى في الكرامة، والإنسانية، والحياة الكريمة مع غيره. فلا طبقات تتعالى وتتكبر على غيرها بأي صورة، وبأي شكل.

- ❖ يعني أن ثروات البلاد ومواردها تُوزع بالتساوي بين جميع أفرادها.. إما في صورة خدمات متكاملة، وإما في صورة حق مادي مباشر ومُحدد. ولا يُترك المال في يد طبقة واحدة يُتداول بينها، ويُحرم منه باقي المجتمع.

- ❖ يعني أن المسلم شريك في ثروة بلاده، وله حق المأكل والمشرب والمسكن...إلخ، حقوقاً أصيلة وليست هبه ولا منة من أحد. فالتكافل الاجتماعي قاعدة شرعية أصيلة من جانب الدولة، ومن جانب المجتمع.

- ❖ يعني تحقيق العدالة الاجتماعية وهي عدالة إنسانية شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية ومقوماتها، وليست مجرد عدالة اقتصادية محدودة، وهي إذن تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها، كما تتناول الشعور والسلوك، والضمائر والوجدانات. والقيم التي تتناولها هذه العدالة ليست القيم الاقتصادية وحدها وليست القيم المادية على وجه العموم، إنما هي ممتزجة بها القيم المعنوية والروحية جميعاً.

- ❖ يعني حق الملكية الفردية الذي يأتي بجهد الإنسان في الحياة من خلال عمله وجهده الحقيقي والمباح، وليس من طرق يُحرمها الإسلام كالربا، والسرقة، والاحتكار، والفساد، والمقامرة، والاحتيال.. إلخ، وكل مال تم جمعه من غير الطرق الشرعية فهو يرجع إلى بيت مال المسلمين.

- ❖ يعني القضاء على الفساد والطغيان في كل صوره، وأشكاله.. ومعاقبة صاحبه كائناً من كان.

- ❖ يعني أن البلاد تتحرر من الهيمنة العالمية على دوران رأس المال، ومن السيطرة على الثروات، ومن بقاء المال في يد حفنة قليلة تتحكم في مصير ملايين البشر، ويعني التحرر من التعامل بالربا، وبالاحتكار، وبالكنز...إلخ.

- ❖ يعني تحقيق كافة احتياجات الإنسان المشروعة بكل كرامة، وعزة.. **تُحقق إنسانيته**: فهو إنسان حر، كريم، لا فرق بينه وبين غيره إلا بالتقوى. **تُحقق وجوده**: توفر فرص العمل والحياة الكريمة لكل إنسان، وتُطلق طاقاته ليعمل ويُبدع. **تُحقق رُقيه**: في صورة الخدمات العامة من (تعليم - صحة - مواصلات - بيئة نظيفة - ..إلخ) حقوق كاملة تؤديها الدولة، وتُحاسب على التقصير في أي جزء منها، خدمات وحقوق وليست تجارة بالإنسان، وليست شعارات، وليست "شكل خدمة" ومُسمى فارغ المضمون. **تحقق احتياجاته**: بتوفير الحد الأدنى من الاحتياجات المادية لكل إنسان القادر وغير القادر، وترعى بشكل خاص (الطفل واليتيم والمطلقة والأرملة وكبار السن) بل لكل رضيع في الإسلام راتب وكسوة وطعام. وفي نفس الوقت - وحتى يتحقق تنوع الحياة ورقيها - تُوفر البيئة الآمنة والعادلة والمنافسة الشريفة في التجارة والاستثمار والربح النظيف.

- ❖ يعني القضاء على كل فرعون، ومحاربة كل طاغوت.

- ❖ يعني الانتصار لكل مظلوم، والأخذ على يد كل ظالم.. مع ضمانات القضاء، وضمانات العدالة، وضمانات المساواة، وضمانات الدفاع.

- ❖ يعني أن البلاد لا تخضع لإرادة مُحتل، أو مستعمر، أو عدو.. ولا يُهيمن عليها - بأي صورة من الصور - أي دولة مُستعمِرة مهما كانت، كما أن سلطة البلاد والأمة لا تُوالي أعداء الإسلام، ولا تتآمر على المسلمين.

- ❖ يعني أن البلاد لها السيادة الكاملة، والإرادة الحرة، والتصرف الكامل على أرضها.. فهي تتحرر من كل أشكال وصور الخضوع، والاستعمار، والاستغلال من غيرها.

- ❖ يعني الحاكم مثل المحكوم لا فرق بينهم، لكل منهم حقوق، وعليه واجبات.

- ❖ يعني أن الحاكم مُوظف يعمل عند الأمة، ويتقاضى أجراً نظير خدمته.. ويأتي باختيار الأمة ومشورتها، ومن حقها محاسبته، ومراقبته، وعزله، ومحاكمته.

- ❖ يعني أن الحاكم ورجاله يعملون على راحة الأمة، وأهل الحل والعقد يراقبون الحاكم ويعاونونه، والأمة تراقب الجميع وتحاسبهم من خلال من يُمثلونها تمثيلاً حقيقياً وعادلاً.

- ❖ يعني أن لا يستبد أحد بالسلطة أو بالثروة.. فلا فرعون، ولا قارون.

- ❖ يعني إقامة الحق والعدل الرباني لكل إنسان، والتقاضي أمام قضاء عادل لا يُفرق بين أحد، ولا يخضع لسلطان أحد سوى سلطان الله، ولا يتحاكم إلى شرع سوى شرع الله.

- ❖ يعني تحرر الإنسان من العبودية لغيره من البشر، حينما يُشرّعون بأهوائهم نظام الحياة، وقيمها، وموازينها.

- ❖ يعني تحرر الإنسان من كل عبودية لغير الله.. تذله، وتستعبده، وتقهره، وتسرقه، وتظلمه، وتُضيع عليه سعادة الدنيا ونجاة الآخرة.
- ❖ يعني أن الدولة مُلزمة أن تكون ذات مكانة عالمية، وتُعد كل قوة، وتحقق كل نهضة ورقي، وتتخذ كل ما يلزم لتحقق ريادتها.
- ❖ يعني أن الدولة والأمة مُلزمة بحمل رسالة الله إلى العالمين، ودعوة الناس إلى صراط الله المستقيم.
- ❖ يعني الحكمة، والعدل، والربانية، والإيجابية، والواقعية، والمثالية، والشمول، والتوازن، والرحمة، والخير، والفلاح، والبركة، والنماء، والرشد، والاطمئنان، والسعادة في الدنيا، والفوز والنجاة في الآخرة.

5- الاجتماع:

إن وضوح الراية، ورفع الوعي بها.. يجمع أهلها تلقائياً، بل ويجعل اجتماعهم مرتكزاً من أهم مرتكزات العقيدة وهو (الولاء والبراء) إذ لا يجعل الاجتماع مجرد اجتماعاً مادياً قائماً على تحقيق مصلحة آنية، أو مكتسبات فانية.. بل يجعل الاجتماع عقدياً، ربانياً.. قائماً على تحقيق العبودية الخالصة لله، وتحقيق الحق والعدل الرباني لكل إنسان، بل يأخذ منحى أعمق في النفس الإنسانية.. إذ يرفع الاجتماع على الراية المسلم إلى آفاق سامية تسمو بالإنسان، وتجعله لا يفكر بمجرد حقوقه المشروعة، بل يُفكر في حقوق البشرية كلها، إذ هو بحمله تلك الراية إنما يحمل الخلاص لكل البشرية وليس هو محدود داخل حدود أرضه، أو جنسه، أو لغته، أو قومه.

6- حشد القوة:

بناء القوة في الإسلام أمر مباشر من رب العالمين، بل جاء الأمر أن يبذل الإنسان أقصى استطاعة ممكنة لإعداد كل أنواع القوة، وقلت: إن أقوى أنواع القوة في الثورة الإسلامية هو الوعي بحقيقة الراية والشريعة، لكنه لا يقف عن حدود الوعي فقط، بل ينتقل إلى القوة المجتمعية وقاعدتها الصلبة والجماهيرية، وهو كذلك لا يقف عند حدود قوة الوعي والقوة المجتمعية.. بل يريد كذلك القوة المادية بكل أنواعها (السلاح - المال - الإعلام). والحشد معناه ليس هو استخدام قوة ما بمجرد الحصول عليها ! بل معناه حشد كل أنواع القوة للضرب بها مجتمعة لتكون بالغة الأثر والفاعلية.

7- مواجهة قوة الدولة القائمة:

لا بد لأي ثورة من قوة تحميها.. منطق سياسي وفطري وشرعي، وأما العقول التي لا ترى إلا لونين.. إما سلمية ملعونة تُذبح فيها كالنعاج، و"تستغل" دماء الأبرياء لحشد التأييد والتعاطف ! وإما حرب تقتل الجميع.. و لا يمكن

لها أن ترى "مسألة الدفاع" ورد العدوان.. وإيقاف جرم المجرم، وقتال البغاة الظالمين ! فلا تصلح لصدارة المشهد وقيادة الثورة..

هناك مساحة كبيرة بين السلمية والحرب الأهلية.. "مساحة رد العدوان والدفاع" الدفاع بقوة منظمة ومُسلحة وبحرس ثوري إسلامي.. إنه منطق شرعي، وفطري !

ومن يستعمل مصطلح "السلمية المطلقة"، فإننا نتهمه بتلوث عقله بالعلمانية ! فليس في شرع الله هذه الرهبانية والاستسلام للمعتدي، في شرع الله كلمة "جهاد"، ورد العدوان أمر من الله تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: 194].

الإسلام يواجه كل قوة بما يكافئها.. هذه طريقة عمله وأسلوبه، يواجه الحُجة بالحجة، والبيان بالبيان، والفكر بالفكر، والدعوة بالدعوة، والمجتمع بالمجتمع، والقوة بالقوة، ويجعل مواجهة القوة ذروة سنام الإسلام وأعلاها مكانة وهو "الجهاد والقتال" في سبيل الله، ويجعل له مراتب: "كف الأيدي - الأذن بالقتال - الأمر بالقتال - قتال المشركين كافة" وهذه المواجهة حتمية ليس لأن الإسلام يريد القتال.. لكن لأن الباطل لن يسمح بوجود الحق، ولو حتى مجرد وجود جزئي محدود، والإسلام كذلك يواجه الباطل ولا يسمح له بالوجود.. بل هو سيف على كل استبداد، وظلم، وطغيان !

وإنني أرى أننا لم نتجاوز مرحلة **"الوعي والراية"** فحولها التباس شديد، ومفاهيم مضطربة، واعتقد أن بداية الطريق هو "**تصحيح المنهج**" برفع راية الإسلام، ولواء الشريعة، ولا راية غيرها.. ولا لواء إلا شرع الله.. والتبرأ إلى الله من كل مسميات العلمانية الجاهلية وإخلاص الراية لله.. يجب تطهير النفوس من هذه اللوثة العلمانية التي أصابت الجميع ! لقد قال غاندي من قبل: "أنا أعبد البقر، وسأظل أدافع عن عبادة البقر أمام العالم أجمع" ! أفنعجز أن نقول: "**إننا نعبد الله وحده، ولن يسود إلا شرع الله وحده**" ؟!

***

جهاد الكلمة من مفهوم القوة الناعمة:

البعض يتحدث عن السلمية على أساس أنها طريق الشعوب للخلاص، ويتطرف تطرفاً شديداً ويُفرط في استخدامها، وأُفضل هنا أن أطرح لها رؤية من زاوية أخرى..

نجد البعض يدفع "بالسلمية" والتي هي مؤهلة للمطالبة بالحقوق في نظام دولة مستقر، يدفع بها لمواجهة "إسقاط الاستبداد" !! وهذا هو التيه، وتسليم الشعوب للموت.. ولم يتحقق في التاريخ أبداً أن المواجهة السلمية وحدها أدت إلى إسقاط دولة استبداد وطغيان دون عوامل أخرى. ووقع التباس عند الكثير من القادة إذ لم يفرقوا بين: المطالبة بحقوق من نظام دولة مستقر، وله عقيدة سياسية، واستقرار مجتمعي فتحتاج إلى السلمية للمطالبة بحقوقك، وبين إسقاط الاستبداد بالسلمية وحدها.. ![1]

كما يجب أن ندرك خصوصية الأمة الإسلامية وتحدياتها، ولا نتغافل عن الجغرافيا السياسية لأكناف بيت المقدس (الشام ومصر)، وعن سنن الله في النفوس والمجتمعات، وعن تاريخ هذه الأمة، وعن طبيعة الصراع، وحقيقة المعركة.. واستحقاقات تَحول الأمة من الحالة الغثائية إلى الحالة الحية الفعالة القيمية.

ولعل من المهم نقل ما كتبه بعض دعاة السلمية، يقول دعاة السلمية:

"- إن الثورة السلمية تعتمد على المقاومة المدنية بهدف سلب السلطة قدرتها على إخضاع الشعب، وذلك بدفعه للخروج للمطالبة بحقوقه وإظهار العصيان المدني، وأيضا سحب دعمه للنظام الحاكم. فالسلطة لا تصبح سلطة إلا إذا حصلت على الطاعة والدعم من المجتمع الذي تحكمه.

- يحتاج التغيير باللاعنف للذكاء العقلي والتفوق الأخلاقي. فالعقل يمكننا من ابتكار وسائل متجددة لرفض النظام المستبد، بينما يضمن التفوق الأخلاقي على الخصم اتساع تأييد الشعب للثورة وكسب التعاطف الدولي.

- بالطبع ستؤدي الثورة إلى أن يستخدم النظام المتسلط القمع المفرط ليواجه به حركة الشارع الثائر. في الثورة السلمية **تستغل مشاهد ضحايا القمع لحشد تأييد شعبي أكبر، ونزع الشرعية عن النظام القائم،** ويمكن التخفيف من بطش النظام بابتكار وسائل جديدة غير متوقعة للاحتجاج.

- كما يمكن استهداف التجار الممولين لأدوات قمع النظام بالمقاطعة الاقتصادية، وتوقف المظاهرات عند أماكن أعمالهم التجارية للاحتجاج. وهناك محاورة أفراد الأمن والجيش والإداريين في الدولة لإقناعهم بدعم الثورة من خلال عدم تنفيذ أوامر القمع، أو إرسال معلومات خاطئة للسلطة، أو التأخر في تنفيذ أوامر النظام. كما يمكن استهداف قوات القمع في أماكن الاشتباك بالحجارة والعصي، ومركبات القمع بالاتلاف الجزئي أو

[1] راجع - إن شئت - مقال: الفرق بين الثورة والمظاهرات.

الكلي، وكذلك رصد تحركات هذه القوات لتحذير الجماهير. ويمكن أيضا كشف هويات المخبرين وأفراد الأمن المشاركين في القمع، ونشر عناوين اتصالهم مما يصيبهم بالذعر.

- ومن أدوات السلمية:

(1) التحريض الدائم للشعب ضد النظام المستبد.

(2) نشر الوعي بين الجماهير بطرق المقاومة المدنية.

(3) توجيه حركة الشارع الثائر، ووضع استراتيجية مرحلية.

(4) قطع كل أشكال الدعم الداخلي والخارجي عن النظام.

(5) تشكيل مؤسسات الدولة الموازية والبديلة." أ. هـ

ومن كلامهم عن السلمية نجد ما هو مفيد، وما هو عبث.. المفيد هو الذي نستفيد منه في (القوة الناعمة) أو (جهاد الكلمة) لرفع الوعي، والحراك الشعبي والجماهيري والإعلامي.. إلخ، وما هو عبث لا يليق بكرامة الإنسان "**استغلال مشهد ضحايا القمع لحشد تأييد شعبي ودولي أكبر!**"، فلا يقبل إنسان ذو عقل أو ضمير أن يدفع الأبرياء إلى الموت المحتوم؛ ليستغل مشهد دمائهم في الطرقات لحشد التأييد.. هذا فعل فوق أنه عمل خسيس، ونيته فاسدة ! فهو مرهون "بآلة الإعلام" وفلسفتها، وسياستها، وما تسمح به، وما لا تسمح ! وما يرغب به صاحب القناة الإعلامية، وما لا يرغب..[1] كما أنه مرهون كذلك بمستوى وعي الناس وضميرها وقيمها وموازنها ومفاهيمها وتصوراتها.. فإن كانت هذه القيم والموازين منحرفة، والفطرة مُنتكسة فسنجد هؤلاء الناس يفرحون بالقتل، ويتعطشون للدماء، ويؤيدون المزيد من القمع !!

***

أنا أُفضّل استخدام المصطلحات الإسلامية النابعة من الوحي الرباني، حتى ولو كان ثمة تلاقي في بعض المعاني بين الإسلام والجاهلية فهو تلاقي عرضي.. فالإسلام توحيد وهوية وصبغة ورسالة وشريعة ومجتمع ودولة وحضارة وتاريخ، يجب الاستعلاء بمنهجه وبتصوره وحتى بمصطلحاته، لذا فتعبير "جهاد الكلمة" هو تعبير رباني يجب الالتزام به، والتعبد به إلى الله، وإن هذا الاستعلاء لا يمنع الاستفادة من تجارب البشرية..

لذا فإن العمل السلمي المستمر، والتظاهرات والعصيان المدني.. إلخ يمكن أن يؤثر في دولة الاستبداد عندما تكون الأمة كلها على قلب رجل واحد، لا تتزحزح عنه، وتتحرك ككتلة واحدة منظمة، ودقيقة، ولا تتوقف لحظة عن إسقاط النظام، ولكن هذه الحالة قد تبدو مستحيلة.. إذ إن النظام يستهدف أول ما يستهدف تدمير العقول،

---

[1] والطرف الآخر يملك هو أيضاً آلة إعلامية تستطيع تزيف الحقائق، وبث رسالة إعلامية مضادة، ومشوهة، وكاذبة.. بل إن الإعلام العالمي كله يكاد يخضع لبضع أفراد أغلبهم يهود !!

وتشتيت الطاقات، وزرع الفرقة، وإخراج الشِقاق، وإنبات النفاق، وتجريف الإنسان.. فهو لا يضرب بالسلاح وحده، بل يضرب بالإعلام، والاختراقات الفكرية، والنفسية، والاجتماعية، يضرب بالمال والسلطان وكل الوسائل المتاحة... إلخ، لأنه يواجه حرباً مصيرية - بالنسبة له - وبالتالي فهو يُطور أسلوبه، ويُعدد من ضرباته ووسائله، وبالتالي لا يمكن أن تكون تلك الأدوات وحدها قادرة على إسقاط دولة ! وإنما تكون هي إحدى الأدوات في الصراع وتسمى في علوم القوة (Soft Power) القوة الناعمة، ونسميها في الإسلام "جهاد الكلمة" وهو يُستخدم لبيان الحق، ودفع الباطل، وفضح السلطان الجائر، وحشد الأمة، وبيان قضايا الأمة المصيرية، وخوض معركة الوعي والتأثير بكافة، والاقتراب من عاطفة الناس ومشاعرها وأفهامها ونمط تفكيرها وأسلوب حياتها.. إذ إن مجال العمل هنا هو "القوة الناعمة" لأنها تخاطب العقل والضمير والنفس وتحشد الأمة، ولكنه لا يستغل مشهد القمع والقتل لكسب التعاطف والتأييد ! كما قال دعاة السلمية !! وبالمصطلح الشرعي الذي نتعبد به لله سبحانه هو نوعاً من "إنكار المنكر" وقول الحق، والوقوف في وجه الباطل..

ولذا فإن الطريق لا ينتهي عند هذا الحد، بل لا بد أن يأخذ الدفعة التالية ليُعوض النقص أمام بطش الدولة ووحشية ضرباتها، وتنوع قوتها.. إنه يُعد للقوة الباطشة (Hard Power) ليؤكد أنه قادر على الإرباك والإيلام وصد الهجوم والانتهاك، وبالمصطلح الشرعي الذي نتعبد به لله سبحانه هو جهاد الظالمين وقتال البغاة، ودفع الصائل على المسلمين وحرماتهم ومقدساتهم.. وإن نجح "جهاد الكلمة - القوة الناعمة" في الحشد لإسقاط نظام دولة الطغيان فذلك عظيم.. وإن فشل وحده في ذلك - وهذا هو الغالب - فنحن لسنا أسرى له، وعندنا "جهاد الدفع" (القوة الباطشة) التي تدفع عنا، وعن حقوقنا، ولا تتركنا نهباً لأحد، ولا أكلة مستباحة.

وهناك الدمج الفعّال الدقيق بين القوتين فيما يسمى (Smart Power) القوة الذكية.. وهي القوة الحرة النوعية في أسلوب عملها، تُقدر كل حركة وخطوة بِقدرها، وتحقق هدفها من أقصر طريق ممكن، وتعمل في كل الاتجاهات بدقة بالغة وتنسيق عالي.. وبالمصطلح الشرعي النبوي هي القوة التي تحرك الأمة من الحالة الغثائية إلى الحالة الحية القيمية الفعالة الرائدة.. لتنتقل من مرحلة (الحكم الجبري والطواغيت) إلى بداية (عودة الخلافة الراشدة)، وتنتقل من مرحلة (أخلاق بني إسرائيل وتقليدهم) إلى مرحلة (أخلاق سُنة الخلفاء الراشدين ومنهجهم).

الشاهد، هو التحرر من قيد التظاهر والعصيان والمسيرات.. إلخ كوسيلة وحيدة للصراع.. والانطلاق نحو إعداد كل قوة ممكنة استعداداً لكل مواجهة متوقعة، إن المشكلة كامنة في طرق التفكير - إن كنا نفكر لا نُقلد - فالنظرة الأحادية هي الغالبة فإما سلمية حتى الموت، وإما مواجهة حتى الموت.. والتفكير السليم هو التفكير الحر داخل الإطار الإسلامي، وهو ينظر إلى الأدوات حوله بحرية ويأخذ منها ما يحقق هدفه، فجهاد الكلمة وأدواته يحشد الأمة، ويرفع الوعي، وينتشر في المجتمع فهذا شيء عظيم ومطلوب. والاستعداد لمواجهة القوة، وحشد القوة، وتنفيذ عمليات نوعية فهذا شيء عظيم ومطلوب للدفاع عن الحرمات والمقدسات. والبدء في تنظيم "مشروع الدولة على الأرض" شيء عظيم ومطلوب لملء الفراغ، وسد العجز، واكتساب الخبرة.. لا تناقض إذن في

الحركة، بل هو التناغم والتجانس والتنوع والحرية في المواجهة، أو كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: 39] ينتصرون بالوسائل المكافئة، والمناسبة، والفعّالة.. بإذن من رب العالمين لا غيره.

***

الفرق بين السلمية وجهاد الكلمة:

م	السلمية المطلقة	جهاد الكلمة
1	مفهوم غربي خرج عن المناهج البشرية الوضعية، كالليبرالية والديمقراطية والاشتراكية... إلخ.	مصطلح إسلامي، عبادة لله مثل بقية العبادات: قال تعالى: {وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} أي بالقرآن ببيانه وبلاغه، وبإقامة الحجة، ودفع الشبهة.
2	السلمية هي النضال اللاعنيف والمدني.. ضد مظالم معينة.	"أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" [حديث نبوي]، وفيه اعتزال الباطل، والحُكام الظلمة، وعدم الرضى والمتابعة لهم، وإنكار المنكر باليد واللسان والقلب.
3	السلمية ترفض كل أشكال العنف.	الإسلام يواجه الواقع بالوسائل المكافئة
4	السلمية تحمل رسالة سياسية أو اجتماعية للمطالبة بحقوق فئوية أو حزبية.	الجهاد يحمل رسالة ربانية شاملة كاملة عالمية للحق والعدل الرباني.. وهو ماضٍ إلى يوم القيامة.
5	السلمية تقف عند حدود النضال السلمي، لا تخرج عنه.	جهاد الكلمة لا يتوقف عند قول الحق، بل يتعداه إلى الجهاد المجتمعي، والجهاد العسكري والقتال، ويُعد كل قوة ممكنة.
6	السلمية تعتبر نفسها قيمة أخلاقية سامية في مقابل العنف.	جهاد الكلمة معنى رباني، ويعتبر القتال في سبيل الله ذروة سنام الإسلام.
7	السلمية نوعان: نوع سلبي وهو الذي يرفض كل أشكال العنف مثل الرهبان البوذيين، والذين يفضل بعضهم الموت على استخدام العنف للدفاع عن أنفسهم ضد الظلم. ! والثاني: الإيجابي الذي يستخدم التظاهر والمسيرات والعصيان المدني.. إلخ في المقاومة السلمية. ويعتبر العنف قيمة منحطة غير أخلاقية.	الجهاد مراتب: - كف الأيدي. (جهاد الكلمة) و(إعداد القوة). - الإذن بالقتال. (رد الاعتداء). - الأمر بالقتال. (دفع الصائل على الحرمات والمقدسات). - قتال المشركين كافة. (نشر رسالة الإسلام لكل العالمين بتدمير قوة الباطل، وعدم إكراه الناس على الدين).
8	السلمية مرتبطة بالفكر الديمقراطي.	جهاد الكلمة مرتبط ببيان شرع الله، وحكمه، وتطبيقه.
9	السلمية "تستغل" دماء الأبرياء لكسب مزيد من التعاطف الشعبي والتأييد الدولي.!	الإسلام يحقن الدماء بقول الحق، والدفاع عنه.. ويتحرك لنصرة المظلوم ولو كان فرداً واحداً.. ولا يستغل دمه ! بل يُدافع عنه بكل ما يستطيع.

10	السلمية أحد أدوات الصراع التي يسمح بها النظام الدولي لحصول الشعوب الضعيفة على بعض من حقوقها.. في حين أن النظام الدولي نفسه قائم على قاعدة: البقاء للأقوى، ويُسلح نفسه بقوة تدمر البشرية كلها !!	الإسلام والجهاد والرسالة.. كلها مفاهيم ربانية، متفرّدة، تحمل منهجها الخاص، وطبيعتها المتميزة، وهو يعتبر الأمة التي تحمل الإسلام.. رسالة وشريعة هي الأمة الشاهدة والمُعلمة، ولا يسمح للنظام الدولي أو غيره أن يُحدد له أدوات صراعه مع الباطل.
11	أدوات السلمية: التظاهر - العصيان المدني - نشر الوعي الجماهيري - المسيرات - الاضرابات - الاعتصامات، ومنها: التعري - تدمير الممتلكات الشخصية.. إلخ.. مثل ما ذكره جين شارب (Gene Sharp) في كتابه البدائل الحقيقية وغيره.	أسلوب جهاد الكلمة على مستوى الأمة: يستخدم فقط ما هو مباح في الإسلام دون الوقوع في الحرام، أو أذى النفس أو الناس.. وهو يرفع (راية الحق) ويدعو الناس الاجتماع عليها، ويعمل على نشر الوعي، ورفع الالتباس، ودعوة الناس، وتكوين مجتمع الحق لمواجهة مجتمع الباطل، وصياغة رسالة الحق، لمواجهة إفك الباطل، واستحداث وسائل للحق، لمواجهة وسائل الباطل.
12	السلمية تستهدف إسقاط شخص أو حكومة داخل حدود الأرض والقوم.	الجهاد كلمة حق لكل العالمين، ورسالة لكل إنسان.. تستهدف تحرير الإنسان من العبودية لغير الله، وسيادة شرع الله وعدله لكل الناس.
13	السلمية لا تُدرك خصوصية الأمة المسلمة، وحقيقة معركتها، وطبيعة صراعها، واستحقاقات شهادة التوحيد، وما تحمله الأمة المسلمة من رسالة، وشريعة، وهدف، وغاية، ومنهج، وطريق.	الجهاد يَعتبر ربانية رسالته، وتفرّد منهج الإسلام، ويعتبر خصوصية أمة الإسلام، وسنن الله في النفوس والمجتمعات، وخصوصية الجغرافيا السياسية لأكناف بيت المقدس (الشام ومصر) ويعتبر استحقاقات وتكاليف تَحول الأمة من الحالة الغثائية إلى الحالة القيمية الفعالة الحية.
14	السلمية الحق والعدل فيها لمن يحشد أكثر، ويقدر على العصيان والاضرابات.. حتى ولو كانت بغير وجه حق.	جهاد الكلمة، الحق والعدل فيه لما شرّعه الله، وبما قال به نبيه عليه الصلاة والسلام، ولا اعتبار للكثرة العددية أمام الحق، فالحق قوة في ذاته ولو لم يحمله أحد.
15	السلمية تواجه القمع، والاعتداءات، والقتل، والتدمير، والتعذيب، والاعتقالات، وانتهاك الحُرمات، والمقدسات، والأعراض، والأموال.. بالسلبية المُفرطة، وأحياناً كثيرة تُسلّم الناس للموت ! لتنزع الشرعية عن النظام الحاكم.	الإسلام ينزع الشرعية بمجرد عدم التحاكم إلى شرع الله، ويواجه كل قوة بما يكافئها.. السلم بالسلم، والحجة بالحجة، والبيان بالبيان، والدليل بالدليل، والفكر بالفكر، والإعلام بالإعلام، والدعوة بالدعوة، والقوة بالقوة. ويستعد لكل مواجهة، ولا يهرب، ولا يفر.. بل يواجه بقوة الحق، وبقول الحق، وبمجتمع الحق، وبسلاح الحق، بكل ثبات، وعزم، ويقين.

بعضاً من شروط الانتقال لحالة المقاومة المسلحة (الجهاد والقتال):

1- رفع راية الإسلام نقية بلا شريك، ورفع لواء شرع الله.. وتطبيق شرع الله - في هذا العصر - يبدأ من إقرار المنهج الرباني في سياسة الحكم والمال، كما كانت عليه وقت الخلافة الراشدة.

2- كلما ارتفع مستوى الوعي؛ كلما قلّت فاتورة الدماء، وتكاليف التمكين.. **الوعي**: يتطلب إدراك حقيقة الإسلام، وسنن الله في الكون، وحقيقة الصراع على الأرض، وطبيعة المعركة، واستبانة سبيل المجرمين، والاجتماع على العقيدة الحقة، وتوحيد الكلمة على كلمة التوحيد، وإعداد القوة... إلخ.

3- وجود القاعدة الشعبية، والحاضنة المجتمعية لحالة الجهاد المسلح، وارتفاع وعي "العقل المجتمعي العام" بأن هذا هو الطريق الوحيد، وبحتمية المواجهة.. لأن الجهاد المسلح بقاعدة صلبة، وبتأييد جماهيري يرفع من قوة تأثيره لأقصى درجة.. مع رصد تَكون "الكتلة الاجتماعية الحرجة" التي تحصل عندها التحولات الكبرى، ورصد "الكتلة السلبية" سواء في الحق والباطل.. والتي ليس لها تأثير على الأرض، وتلحق - في النهاية - بالفريق المنتصر أو تعتزل الواقع.

4- الجهاد الناجح هو الذي يكون له "مشروع سياسي متكامل" بجوار مشروعه الثوري، ولديه وعي مجتمعي وواقعي بحال الناس وثقافتها، وعنده من الرحمة والحنان والعطف بهم، والحنو على جهلهم وضعفهم، وليس محاكمتهم.

5- أثناء الجهاد لا استعجال في ممارسة أعمال الدولة فالدولة لم تتكون بعد، ولا إعلان لدول وهمية حدوها بيان على ورقة ! لا حظوظ للنفس، ولا استكبار، ولا تعنت.. المجاهد إنسان قام يطلب الشهادة تحت لواء شرع الله.

6- من الناحية الفقهية.. تندرج شرعية الجهاد المسلح "قتال الفئة الباغية" تحت:

- الأنظمة القائمة كلها ساقطة الشرعية فهي "مُبدلة للشرع" "مغتصبة للسلطة".

- طغيانها وظلمها وسرقتها للأمة.

- تبعيتها وولائها لليهود والصليبيون.

7- الهدف: خلخلة البنية والمنظومة الأمنية التي تحمي النظام حتى يسقط، ولو كان يكفي خلخلتها بقطع يد "البلطجية" ذراع الداخلية، والقدرة على الإيلام والتهديد فذلك عظيم، وهو عمل يُقدر بظروف كل بلد.. وإذا هرب أفراد المنظومة الأمنية - إذ هم أحرص الناس على حياة - فلا يتبعهم أحد، وإنما يواجهون فقط من قتالهم، ورفع السلاح عليهم.

8- الحذر: يصنع أعداء الإسلام أطروحات وهمية عن الجهاد، لعمل مصيدة وفخ لجذب الشباب المتحمس، ومن ثم استئصالهم، وإن تَكَوّن لهم كيان حرصوا بشتى السبل على اختراقه، وتحوير أهدافه، ثم تدميره في النهاية! سيناريو متكرر لم يسلم منه إلا قلة، لذا فالحذر، والوعي، والتربص، والدقة، واكتشاف الخلل، وطرح البدائل، والاستعداد الدائم، واليقظة، ووضوح الراية، ونقاء الهدف، والشورى، والضبط الشرعي المُحكم الدقيق لكل صغيرة وكبيرة في منهجية إسلامية منضبطة يَحُول - إن شاء الله - دون الاختراق.

9- الإعلام: القدرة على صياغة رسالة إعلامية سهلة، راقية، واضحة، صادقة للعامة والخاصة، تستبق عمليات التشويه، والتدليس.. وتُعبر عن حقيقة الهدف، والرسالة، والغاية الذي يحمله الجهاد، من أهم عوامل الانتصار.

10- التنوع: الحراك على كل المستويات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية...إلخ، وليس مجرد الاكتفاء بمجرد "حمل السلاح" فالحراك الاجتماعي السلمي مع الجماهير والشعوب المُستغفلة، والحراك المسلح مع المجرمين لا تناقض بينهم، وكذلك وضوح الرؤية السياسية وشمولية الوعي، تقطع الطريق أمام الانحراف بمشروع الأمة عن أهدافه.

11- اعتبار مصر دولة محورية في المنطقة، وإن قيام فكر الجهاد والمقاومة وبأسلوب متطور، يعني أن المنطقة كلها مُعرضة للتفكك والمواجهة الكاملة المكشوفة، ودخول إسرائيل وأمريكا في المواجهة السافرة الكاملة أمر متوقع جداً، ولهذا يجب دراسة كل الاحتمالات.. وطرح كل البدائل والسيناريوهات، والخطط البديلة.

12- إن مجرد البدء في تشبع المجتمع بفكرة المقاومة المسلحة، وإعلان الجهاد.. في دولة خطيرة مثل مصر، بهذا المكان، وبهذا التعداد الهائل.. يجعل التدخل الدولي لحسم الأمور أمر متوقع من أول لحظة، ولهذا يجب أن تكون الأهداف كلها واضحة، وهي قيام دولة الإسلام بسيادة الشريعة، وانتصار الهوية الإسلامية على الهوية العلمانية.

8- حقيقة المعركة:

- الصراع القائم الآن بمصر لرفض الانقلاب وعودة الشرعية هو "صراع وطني" بامتياز "استحقاق سياسي - الشرعية" ليس للإسلام كهوية ودولة وشريعة منه كبير نصيب.. صراعاً علمانياً يُستحضر فيه الدين عند الحاجة، ويُترك عند التفاوض! ولا تفاوض على هوية الدولة العلمانية، ولا على الخروج على المنظومة الدولية.. مهما كانت التضحيات حتى ولو كانت بالإسلام ذاته.

وإن توحش العسكر على التيار الإسلامي، لا يعني أن الصراع صار إسلامياً، فهم حاربوا الإسلام من قديم بجعل هوية الدولة علمانية قومية ! فالإسلام لم يدخل المعركة بعد، وهذا التوحش هدفه قتل روح المقاومة والجهاد والكرامة والعزة، ومنع مجرد التفكير في الانتصار للإسلام !!

فيمكن القول: إن الصراع من **الجانب العسكري العلماني**: هو (1) رفض للسيادة والكرامة، والبقاء تحت هيمنة النظام الدولي. (2) رفض لمحاولة دخول الإسلام كنظام حياة في السياسة وغيرها.

وأما **الصراع من جانب التيار الإسلامي - الإخوان تحديداً**: (1) خطاب دعوي يُلهب حماسة الجماهير وينادي بالإسلام. (2) خطاب سياسي يُطالب بنصيبه وحقه الديمقراطي، داخل إطار الدولة العلمانية ولا يستهدف تغيير نظام الدولة وهويتها العلمانية، وينضوي تحت مشاريع الهيمنة الدولية !

وحين يكون الصراع على الإسلام كهوية وشريعة ودولة - وهذه هي الثورة الإسلامية - يكون هو "الصراع العقدي" التي تُرفع فيها راية واحدة، وهذا الصراع يستحيل أن يكون سلمياً - مهما كانت الظروف - وسيكون مصطدماً مع "دول المركز" في استرداد دولة تنتزع هويتها، وتتحرر من الاستبداد، وتحرر من الهيمنة الدولية، ولن تُستحضر فيه أطروحات "النظام الدولي" مثل: "التعايش - التعددية - المدنية - الأقليات - الديمقراطية ... إلخ".

- يجب أن نفهم طبيعة المعركة، وحقيقة الصراع، واستحقاق شهادة التوحيد، ومعركة الحرية والإرادة والعزة والكرامة.

- يحرص أعداء الإسلام حرصاً شديداً عن التمويه على أن المعركة في أصلها "معركة العقيدة" فيرفعون رايات شتى تارة سياسية، اقتصادية، عسكرية، صراع على أرض... إلخ، إلا إنهم يتحاشون ذكر "العقيدة" حتى لا تلهب الحماسة في نفوس المسلمين وتجيشهم للدفاع عن دينهم ! ولقد كان كبار المشركين يعرضون علي رسول الله - صلي الله عليه وسلم - المال والحكم والمتاع في مقابل شيء واحد، أن يدع معركة العقيدة وأن يدهن في هذا الأمر!

- إنها معركة العقيدة.. معركة "لا إله إلا الله" التي تجردهم من كل سلطان اغتصبوه، ومن كل مال سرقوه، ومن كل بشر استعبدوه، ومن كل هوى يتبعوه.. إنها ببساطة تساوي بين الناس في الحق والعدل الرباني، ولهذا فهم يكرهون هذه العقيدة، ويحاربونها حرب وجود ومصير.. فهذه العقيدة مجرد وجودها ولو مجردة من كل قوة مادية، تُمثل تهديداً للباطل في كل مكان.

- إنها معركة طويلة تتطلب استبسال وعزيمة وقوة شديدة.. إنه استرداد دولة بأكملها، بل عودة أمة من جديد.

- وإن الأطراف المباشرة لهذه المعركة هم اليهود والصليبيون.. والطواغيت دور وظيفي، وتنفيذي فقط.

- يجب رفع الهمم والاستعداد لمعركة طويلة حقيقية، معركة جادة هذه المرة، ولا يظن أحد أننا كغيرنا في هذا العالم أو يقارنا بغيرنا، نحن أمة فريدة ذات رسالة عالمية، وحضارة ربانية.. ونهضتها تمثل تهديداً مباشراً على العالم الغربي، ولذا فهو لا يقف موقفاً سلبياً فقط، بل موقفاً داعماً لكل انتهاك للدماء والإنسانية، ولا يُعولن أحد عليهم.. فالعالم الغربي الديمقراطي الحر يرعى قتل وسفك وسرقة ثروات الشعوب الضعيفة.

- يجب أيضاً تطوير أساليب مقاومة هذا العدوان على الدولة، والأمة، والحقوق، والكرامة، والحرية، والإنسان.. ويجب كذلك أن نستعد للتضحية في سبيل استرداد دولة، ونهضة أمة.

- المعركة ليست توزيع "ميراث أو استحقاق" سياسي.. بل معركة وجود، معركة عقيدة، معركة إسلام.. إما نحن، وإما هم.. إما الإسلام وإما العلمانية، ولن يسمح أحدهما بوجود الآخر.

- المواجهة في الإسلام بين الحق والباطل معروفة وواضحة، إنه يواجه بالوسائل المكافئة لكل مواجهة: السلم بالسلم، والحجة بالحجة، والبيان بالبيان، والدليل بالدليل، والدعوة بالدعوة، والقوة بالقوة.. الله تعالى ينصرنا عندما نعد القوة المكافئة لكل مواجهة.. لكل إن تغافلنا عن هذه القوة، فنحن لم نحقق بعد سنن الله في أرضه، ولم ننصر دينه حق النصرة.

- يجب أن نتحرك بشكل متناسق، وفعال، ودقيق وكل التضحيات رخيصة لاسترداد أهم بلادنا "أكناف بيت المقدس" (الشام ومصر)، والتي عليها مهمة نهضة الأمة الإسلامية كلها.

- يجب أن يجتمع كافة العلماء والمفكرين، لعمل جلسات فكرية وعصف ذهني، لوضع الخطط والبدائل، وطرق تفعيلها على كل المستويات، فهي ليست ضد الطواغيت فحسب.. بل ضد أعدى أعداء الأمة، وأقوى قوة عالمية.. ويجب أن تكون استعدادتنا وطرق تفكيرنا على قدر هذا المستوى، وعلى قدر امكانيات العدو.(1)

- إننا نحمل الرسالة الأخيرة من رب العالمين إلى كل العالمين.. ونحمل حضارة ربانية روحية ومادية، والبشرية كلها تنتظر قيام تلك الأمة من جديد، لأنها ستغير وجه التاريخ والعالم، ولكن عدو هذه الأمة يستخدم معها "التكتيك" القديم، وهو (الضربة الاستباقية).. فلا تكاد هذه الأمة تخطو خطوة صغيرة نحو إرادتها وكرامتها وعزها إلا واجتمع عليها كل عدو، ولذا يجب أن تستعد الأمة لطبيعة المعركة، وحقيقة الصراع، واستحقاقات شهادة التوحيد، ويجب أن نكون على يقين أن الحق لن يسمح بوجود الباطل، ولا الباطل يسمح بوجود الحق، ولو وجوداً ضعيفاً.. إنها معركة حياة ووجود، بل إنها قيام دين الله في الأرض.

- الإنسان الوحيد المؤهل للدفاع عن القضايا الوطنية أو السياسية أو غيرها من القضايا في بلادنا، هو الإنسان المسلم الذي يرفع راية الإسلام نقية، وكل القضايا إنما تندرج تحت لواء الإسلام وشرع الله. وهو الإنسان الوحيد - في بلادنا - القادر على الصمود أمام المغريات، فيقول: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[النحل : 96] وهو القادر على الصمود أمام التحديات والعذابات فيقول: ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ [طه: 72] وهو الذي لا ينتظر جزاء ولا شكوراً، ولا ينتظر حتى أن يرى النصر بعينه، فلا يتطلع إلا إلى رضى الله وجنته.

---

1 راجع - إن شئت - مقال: العمل المؤسسي.. ضرورة واقعية لتحقيق شريعة ربانية.

- إن المعركة في صميمها هي معركة عقيدة، ومعركة بين الهوية الإسلامية والهوية العلمانية، ومعركة حرية تحت شرع الله، وعبودية للطاغوت !

- إن بيان طبيعة المعركة، وحقيقة الصراع له أول بديهيات النصر، والغياب عن حقيقتها لهو أول علامات الهزيمة.

***

وبهذا فإن الثورة الإسلامية:

* تستهدف تفكيك وبناء (**الدولة**) من جديد على أسس الشريعة الربانية، ووفقاً للنظام الإسلامي المتفرّد شكلاً ومعناً ومضموناً واصطلاحاً، ووسيلة وغاية ومنهج وطريق.

* وتستهدف هوية (**المجتمع**) وصبغته ليكون على الصورة والحقيقة الإسلامية الخالصة.

* وتستهدف (**الإنسان**) ليكون إنساناً ربانياً عبداً لله سبحانه، وتحريره من العبودية لغيره من البشر أو يكون عبداً لهواه.

وإذا كانت الثورة الإسلامية تطلب القوة والجهاد والقتال لبناء دولة الإسلام، فإنها تريد الحكمة والتربية والضمير وقاعدة من الأخلاق ترتكز على العقيدة؛ لبناء الإنسان والمجتمع.

إن الشعوب الإسلامية والعربية لن تنال أي من حقوقها إلا عن طريق واحد فقط لا غير هو **الإسلام كقوة ثورية، ورسالة عالمية ربانية ضد الظلم والفساد والاستبداد**..

إن أمام الأمة الإسلامية ثلاث اختيارات فقط لا غير:

- إما عيش الذل والمهانة؛ فتخسر الدنيا والآخرة.. وإن عيش الذلة والمهانة لا يُقاس بما يملكه الإنسان من أشياء، بل بما يحمله من رسالة، وبما يحققه من خلافة.

- وإما الغزو الخارجي، فتخضع له.. وهي بالفعل خاضعة له بصورة كاملة مع تغيير الشكل والاستراتيجيات؛ فتخسر الدنيا والآخرة.

- وإما الثورة الإسلامية الكاملة الخالصة.. فتقدّم الشهداء والتضحيات على طريق ريادتها العالمية، وتتقدم خطوة تلو الأخرى، فتفتح الطريق للأجيال القادمة، فتفوز بالإيمان والعزة والكرامة في الدنيا، وفي الآخرة.. مغفرة من الله، ورضوان.

لقد جربنا كل التجارب الخطأ، وكل المناهج الأرضية والوضعية.. وفشلّت كلها في أن تأتي بالحقوق فضلاً عن كونها ضد الإسلام كمنهج رباني شامل، لا يقبل إلا بمنهجه الإلهي. ولم يتبق لنا إلا التجربة الصحيحة، وها هي

أمامنا تنادينا..فإذا استجبنا لها - إن شاء الله - فلأننا استنفذنا جميع الخيارات، وجربنا جميع الأخطاء! أما إذا ارتددنا على أعقابنا نعيد تكرار التجارب الخاطئة ! فأحسب أن الله غضب علينا والعياذ بالله.

والاختيار الصحيح هو: الإسلام.. عقيدة، وشريعة، ونظام، وهوية، وصبغة، ومجتمع، ودولة، وفكر، وثقافة، وتاريخ، وحضارة، ورسالة متفرّدة، لا تصطلح مع الواقع الجاهلي، ولا تُقلد، ولا تُدهن، ولا تنتكس، ولا تفاوض على شيء منها.

وإن طريق الجهاد طويل، والكفاح مستمر، والظروف الداخلية في واقع الشعوب العربية مهيأة لاندلاع الثورة الإسلامية الكاملة، والظروف الخارجية من قوى استعمار عالمية تترنح تحت الضربات الاقتصادية، التي ستنتهي - حتماً وفق السنن - بانهيار الرأسمالية ! وكأن العالم كله يستعد لتلك الثورة الإسلامية التي ستُغير وجه الحضارة الإنسانية كلها، فلنبدأ باسم الله وحده.

البداية الصحيحة للثورة الإسلامية:

- التطهر من اللوثة العلمانية والخطاب المنهزم والإصلاحي، والعودة إلى نبع الإسلام الصافي بقلوب وعقول أخلصت أنفسها لله.

- التطهر من رهبانية غاندي: كالسلمية والنضال اللاعنيف، والتوجه نحو المنهج الإسلامي قاعدة انطلاق، وفكر، وعمل، وأدوات.

- التفرقة بين اعتبار السلمية وأدواتها هي (كل) أدوات الصراع لا حياد عنها، ولا بديل، ولا شريك.. وبين جهاد الكلمة (الوعي والقوة الناعمة) وكونه قوة مع بقية القوى الأخرى.. كما سبق شرح ذلك.

- التطهر من أدوات الصراع التي يسمح بها النظام الدولي كـ: (الديمقراطية - التعددية - الأقليات - المدنية - السلمية - حرية المرأة - التعايش - قبول الآخر ... إلخ) ولندرك أن النظام الدولي لن يسمح لنا بأدوات صراع تنصرنا في معركة السيادة والكرامة، ومعركة دولة الإسلام بسيادة الشريعة، وعلينا أن نرجع فقط إلى ديننا نسأله، ونستفسر منه عن أدوات الصراع، وكيفية الصراع.

- المراجعة: مراجعة مسار الثورات العربية وغيرها، وتحديد مواطن الضعف والخلل بأسلوب علمي دقيق قائم على منهجية إسلامية صحيحة تصل في النهاية إلى الانطلاق لخطوة إيجابية متكاملة.

- رفع الوعي: بمبادئ الثورة الإسلامية، وبمشروع الدولة التي تحمله، وبحقيقة الشريعة الربانية.

- رفع الراية: راية الإسلام وحده لا شريك له، وكل ما تتمناه الشعوب من حقوق مشروعة، فالإسلام يكفلها جميعاً وزيادة.. سعادة في الدنيا، وجنة في الآخرة.

- الاجتماع: الاجتماع على أساس الإسلام، ومن أجله، ومن أجل الأجيال القادمة، ومن أجل البشرية كلها.

- إعداد القوة: كل أنواع القوة الممكنة.

- مواجهة القوة بالقوة: وأؤكد كلما ارتفع مستوى الوعي، كلما قلّت فاتورة التكاليف والدماء.. ولكن مهما ارتفع الوعي لا مفر من مواجهة على الأرض، وهذه بديهية وحتمية يجب الاستعداد لها والفداء من أجلها، والتضحية في سبيلها.. فالغاية هي أعظم غاية في الوجود.. تحرير الإنسان من العبودية لغير الله، وإقامة الحق والعدل الرباني، وإرشاد الإنسان إلى جنة الدنيا والآخرة.

***

الإسلام ثورة تحريرية عالمية، والثورة الإسلامية قادمة لا شك في ذلك لأنه وعد الله سبحانه.. ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ [النور: 55] فالأكرم والأعز لنا أن نكون من أهلها، ومفجريها، والمبشرين بها.. ولا ننتظر انتصارها على أيدينا، بل لا ننتظر أي جزاء مادي أو معنوي في تلك السويعات المحدودة في هذه الدنيا، فما أعده الله لنا من رضوان وجنان لا يُقارن بأي جزاء.. والله خيرٌ وأبقى.